



تقييم حالة

المشهد السياسي التونسي في 2016: "سنة مؤتمرات كبيسة"

عبد الحق الزموري | أبريل 2016

المشهد السياسي التونسي في 2016: "سنة مؤتمرات كبيسة"

سلسلة: تقييم حالة

عبد الحق الزموري | أبريل 2016

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2016

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. إضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدّها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، ومقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للنّخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامج وخططٍ من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: 826 - منطقة 66

الدفنة

ص. ب: 10277

الدوحة، قطر

هاتف: +974 44199777 | فاكس: +974 44831651

www.dohainstitute.org

المحتويات

1	مقدمة
2	مؤتمر حركة النهضة والمعادلة الصعبة
4	مؤتمر نداء تونس: قاطرة أم غريق؟
6	المؤتمر التأسيسي لحزب مشروع تونس: امتحان في القدرة على البقاء
8	المؤتمر الـ 23 لاتحاد العام التونسي للشغل: رهانات حاسمة وأفق ملتبس
11	خاتمة

مقدمة

ينظر العالم إلى تونس بوصفها استثناءً في التحولات الدموية التي فتحت عليها ثورات الربيع العربي في المنطقة، ويشيد بمسارها "التوافقي" السلمي الذي حافظت عليه وسط إقليم متغير. إلا أن الأوضاع السياسية والاجتماعية والأمنية على الأرض لا تزال ترسيخ البلاد للمضي في كل الاحتمالات، بتعقدّها وتفكّكِ منهاج ودّوب لبنياتها، وتهلّل طبّيعي للغلاف الذي يراه الآخرون ويحكمون من خالله؛ فالوضع الاقتصادي الذي أصبح عنوانه الأبرز استفحال الفساد في مفاصل المجتمع جميعها مرشحٌ لتحويل الدولة إلى "دولة مافيوذية" على شاكلة كولومبيا، بحسب تصريح شوقي الطيب رئيس الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد¹، والوضع الأمني يعرف مع عملية بن قردان الإرهابية (7 آذار / مارس الجاري) تحولاً نوعياً نحو مزيد من التعقيد والخطورة؛ أمّا الوضع الاجتماعي المدني فيزداد تشدداً وتفكّكاً، ولم يتمكّن منح المنظم المُنتظم الدولي منظماته الأربع جائزة نوبل للسلام بعنوان سنة 2015، من بناء حوار تعاون مجتمعي من أجل تحسين الوحدة الوطنية.

في ظل تلك الأوضاع الصعبة "للمرجل" الداخلي (الذي تزيده تأثيرات الوضع المتغير في الإقليم تعقيداً)، و"استباحة" التدخلات الخارجية الساحة المحلية خطورةً، تجد الساحة/ الطبقة السياسية نفسها في وضع لا تُحسد عليه، وخاصة وأنّها لا تزال تعيش مرحلة المخاصض والفرز داخلها ولم تستقرّ بعد؛ أضف إلى ذلك قصر المدة (خمس سنوات على اندلاع الثورة)، والعدد الكبير للأحزاب السياسية (أكثر من 180 حزباً)، وضعف الفاعلين السياسيين الجدد.

تستعد الساحة السياسية في تونس لاحتضان أربع محطات متقاوتة الأهمية ستكون آثارها محددة بقية مسار التجربة التونسية في الانتقال الديمقراطي؛ وتمثل هذه المحطات بمئمتيني أكبر حزبين في الساحة (النهضة،

¹ هيئة حكومية وقع إقرارها مؤخراً، حذر رئيسها الأستاذ شوقي الطيب من أنّ الفساد هو حالياً في وضعية وبائية وأنّ بارونات الفساد يسعون إلى الهيمنة على كل مفاصل الدولة، وذلك في ندوة صحفية عقدها يوم الجمعة 25 آذار / مارس الجاري؛ انظر أيضاً: "الأستاذ شوقي الطيب (رئيس الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد): تونس مهدّدة بأن تصبح دولة مافيوذية.. وقد يصل الفساد إلى المؤسسة العسكرية"، جمهورية، 23 آذار / مارس 2016، في:

ونداء تونس)، والمؤتمر التأسيسي للحزب الوليد المنشق (والمنافس) عن نداء تونس (حزب محسن مرزوق الأمين العام السابق للنداء)، ومؤتمر الاتحاد العام التونسي للشغل.

فلماذا سيكون لعقد مؤتمرات هذه الأطراف تأثيرٌ حاسم في تطور الأوضاع السياسية في تونس وإعادة رسم خريطها في السنوات المقبلة؟ وكيف؟

مؤتمر حركة النهضة والمعادلة الصعبة

بعد سلسلةٍ طويلة من اللقاءات والاجتماعات والتصریحات بخصوص المؤتمر العاشر لحزب حركة النهضة، والذي تأجل عقده أكثر من مرة، أُعلن مجلس شورى الحزب في بيان دورته لا 42 عن انعقاد المؤتمر العاشر في الفترة الواقعة بين 20 و22 أيار / مايو المقبل². وبعده بعض المحللين والقريبين من الحركة مؤتمر الحسم، أو أول مؤتمر حقيقي للحزب. قد لا يكون ذلك هو موقف قيادات النهضة الأساسية؛ نظراً إلى وجود انطباع عام بأنّ المؤتمر التاسع (12 - 15 تموز / يوليو 2012) أُجلَ عدداً من القضايا الأساسية للحزب إلى المؤتمر المُقبل ليحسّم فيها، أضف إلى ذلك تجربة الحكم التي لا يزال عديد التونسيين - ومن بينهم أعضاء في النهضة وأنصار لها - يعذّونها متعرّة، وما راج في الأشهر الماضية من حديث (بنيت عليه تقارير إعلامية) بخصوص صراعات داخلية تشقّ الحزب أو بشأن نية الحزب في فصل الدعوي عن السياسي.

وفي كل الحالات، فإنّ حزب النهضة صاحب أكبر كتلة نيابية (69 نائباً) والمشارك في الحكومة (بوزير واحد، وبعض المستشارين)، قد قام منذ بضعة أشهر بحملة اتصالية كبيرة تهدف إلى تأكيد مسألتين للرأي العام، وهما: أولاً، استعداد الحزب للقيام بعملية مراجعة ضخمة لأساليبه وأفكاره وبنائه التنظيمية؛ بغية تحقيق شعار "تونسية" الحزب ودفع الثّهم عنه بانتمائه لتصورات وتنظيمات مشرقة (التنظيم الدولي للإخوان المسلمين). ولتحقيق ذلك، عمد الحزب إلى تنظيم استشارة "موسعة" بخصوص ما سمّاه بـ"الوثيقة المضمونة" للمؤتمر المُقبل. وشملت

² انظر: "بيان الدورة الثانية والأربعين لمجلس شورى حركة النهضة"، موقع حزب حركة النهضة، 27 آذار / مارس 2016، في: <http://goo.gl/cvPCnA>

هذه الاستشارة عدداً كبيراً من الشخصيات الوطنية؛ من إعلاميين وجامعيين ومتقفين مستقلين، ينتمي أغلبهم إلى الفضاء العربي والإسلامي، بل كان بعضهم في علاقة توتر طويلة مع حركة النهضة. ووقع أيضاً استدعاء بعض الشخصيات الوطنية لحضور بعض مؤتمراتها الجهوية (كالدكتور احمدية النيفر رمز اليسار الإسلامي، وأسامي الخليفي من نداء تونس). وركّزت تلك الحملة التواصلية أيضاً على الترويج لقرار الحزب القاضي بالفصل بين السياسي والدعوي، والذي يريد البعض فصلاً بين الدين والسياسي³.

ثانياً، قدرة الحزب على إدارة خلافاته والحراك الذي يدور بداخله، دون اللجوء إلى الانشقاق أو تفجير الصراعات الداخلية في الخارج؛ وهو داء عاناه مجمل الطبقة السياسية وأثر سلبياً في أدائها، وفي الدولة في الآن نفسه.

لقد تمكّنت قيادات حركة النهضة من إقناع عديد الأطراف المحلية والإقليمية والدولية بقدرتها على إقامة تقاهمات كبرى حول قضایا إشكالية بالنسبة إلى طبيعة الحزب نفسه أحياناً، والسعى الدائم لإيجاد توافق في إدارة الأزمات التي تمرّ بها البلاد. وهو ما أهل الحزب للمضي قدماً في تدعيم الاتفاق مع حزب نداء تونس في إدارة الشأن العام، والتصدي للمخاطر المحدقة بالبلاد.

ولكن، يشكّك بعض المحللين في قدرة المؤتمر العاشر للحزب على تحقيق ما يبشر به⁴. ويعتقد هؤلاء المحللون أنّ عملية التجميل الضخمة التي يسعى الحزب إلى إضافتها على جسمه غير قادرة على حجب حدّة التناقضات بين أجيال القيادات المختلفة؛ سواء لجهة التكوين أو الطموحات أو التحالفات، وأنّ ذلك التباين الكبير سـ"ينفجر" في وجه "النهضاويين" في المؤتمر، وسيصل الصراع (التناقض) على التموضع إلى

³ انظر: تصريح نور الدين البحيري، الإذاعة الوطنية التونسية، 26 آذار/مارس، في:

<https://www.facebook.com/Mr.Noureddine.Bhiri/videos/1131113653619784/?fref=nf>

انظر أيضاً سلسلة المقالات التي نشرها نائب رئيس حركة النهضة: عبد الحميد الجلاصي، "المؤتمر العاشر لحركة 'النهضة' في سياق الأولويات الوطنية"، جريدة التونسية، 25 – 26 – 27 آذار/مارس 2016، في:

[http://www.attounissia.com.tn/details_article.php?t=42&a=169323;](http://www.attounissia.com.tn/details_article.php?t=42&a=169323)

[http://www.attounissia.com.tn/details_article.php?t=42&a=169387;](http://www.attounissia.com.tn/details_article.php?t=42&a=169387)

http://www.attounissia.com.tn/details_article.php?t=42&a=169547&temp=1&lang=

⁴ تتعدد الجامعية ألفة يوسف في جريدة الصريح التونسية الصادرة يوم 28 آذار/مارس من تسمّيهم "إخواننا" (وتقصد حركة النهضة) بمحاسبة شديدة وطرد نهائي من المشهد السياسي التونسي، "مهما تلزمنا".

درجة لن تسمح للحزب بالبقاء موحداً، وخاصة إذا أضفنا إلى تلك المخاطر تحويل مسألة الفصل بين السياسي والدعوي إلى سلاح في المواجهة.

ولعلّ هذه التحليلات تجد مبرراً لها في غياب الحوار الفكري والسياسي العميق بين النهضاويين أنفسهم، أو بالأحرى غياب التوجهات الواضحة لذلک الصراعات، ما يوحي باقتصرارها على الصراعات الشخصية حول تموقع الفاعلين. إذ يتافق الجميع على أنّ الشيخ راشد الغنوشي رئيس الحركة هو الوحيد الذي له رؤية فكرية سياسية واضحة يسير بها. ولم يُعرف عن بقية القيادات (القديمة، أو الصاعدة) مجھودٌ نظري موازٍ أو مخالف يمكن البناء عليه.

وفي كل الأحوال، فإنّ المؤتمر العاشر لحركة النهضة، بما سيدور فيه من جدل وما سيؤول إليه من مخرجات، سيلقي بظلاله الكثيفة على محمل المشهد السياسي في تونس: إعادة تشكيل وطبيعة الأدوار، وسيكون له تأثيرات مباشرة في إدارة الشأن المحلي والإقليمي، وفي مواجهة الأزمات المرتقبة.

مؤتمر نداء تونس: قاطرة أم غريق؟

منذ أن استقر أمر رأس السلطة السياسية (رئيسة الجمهورية، والحكومة، ورئيسة البرلمان) لحزب نداء تونس في مطلع سنة 2015، وشرع هذا الحزب في التفكير في عقد مؤتمره الأول والإعداد للاستحقاقات الانتخابية المقبلة، حتى بدأ السباق المحموم لمختلف المكونات المؤلفة له (يسار ماركسي، ودستوريون، ونقابيون، وشخصيات وطنية مستقلة) نحو تقوية مواقعها لدخول المؤتمر بحظوظ أوفر. فبدأت الخلافات تظهر على السطح، وعملية الفرز تتوضّح شيئاً فشيئاً، ما استدعى تخلي "الرجل القوي" آنذاك محسن مرزوقي (يساري مستقل قريب من الوطد*) عن مركزه بوصفه مستشاراً سياسياً لرئيس الدولة الباجي قايد السبسي، وتوليه مهمة الأمين العام المؤقت للحزب. تلا هذه الاستقالة ظهور قوي لحافظ قايد السبسي (نجل الرئيس) في هيكل الحزب وتمثيلياته الجهوية، ما زاد من حدة الصراع بين فرقاء العائلة الواحدة، وخاصة مع التقارب الكبير بين "الشixin" (الباجي قايد السبسي، وراشد الغنوشي)، وبداية سلسلة الاستقالات من الحزب، ثم من الكتلة البرلمانية. وقد رافق ذلك حرب شعواء استُعمل فيها الإعلام والتصرّفات المتبادلة والاتهامات والوثائق المسربة، فأصبح ملف صراعات

الحزب طيلة أشهر عديدة هو المهيمن على الأحداث السياسية في تونس، ما أثر تأثيراً واضحاً في أداء الحكومة والبرلمان، بل حتى رئاسة الجمهورية. ولم تنته المعركة وينكشف غبارها إلا بمعادرة أغلب مكونات اليسار الحزب⁵، وتكون محسن مرزوق لحزب جديد أطلق عليه تسمية "حزب مشروع تونس"، وكتلة برلمانية (الحرّة) متألفة من 25 نائباً، قبل أن يمضي الاختلاف بالباقي إلى الانفجار مجدداً وتعلق مجموعة مهمة عضويتها في الحزب (من بينهم بوجمعة الرميلي، وفوزي اللومي، وبشري بالحاج احمدية... إلخ). وبعد هدوء العاصفة وعودة رضا بالحاج (مدير الديوان الرئاسي سابقاً) على رأس الهيئة السياسية لنداء تونس، استعاد الحزب نشاطاته وتفاهمات رواده وبعض الغاضبين، واتفقوا على عقد المؤتمر الانتخابي الأول للحزب يوم 31 تموز / يوليو المقبل. فما هي آفاق نجاح نداء تونس في لملمة جراحه؟ وما مدى قدرته على مواصلة السيطرة على مفاصل الدولة (رئاسة، حكومة، وبرلماناً)؟ وما هي تأثيرات مخرجات المؤتمر في مستقبل الساحة السياسية وقدرة النخبة على مواجهة التحديات الخطيرة المقبلة؟

يذهب كثير من المراقبين إلى أنَّ الخطر الأكبر على شعبية نداء تونس وعلى وضعيته بوصفه حزباً حاكماً، لا يأتيه من غيريه الذي تشكّل أصلاً لإطاحتة (حركة النهضة)، بل من المنافس الذي انشق عنه (حزب محسن مرزوق)، والذي يحاول أن يسحب منه قواعده كما سحب عدداً من نوابه. لذلك يجد نداء تونس نفسه مضطراً إلى تعبئة جزء من قدراته في مواجهة هذا "الخصم"⁶، وإلى مزيد التعويل على "عدو الأمس" (النهضة)، لدعمه في تلك الحرب، ولتمكنه من الحفاظ على موقعه في ريادة الدولة. من هنا، تصبح رهانات المؤتمر المقبل للنداء ضخمة والنتائج التي ستتمخض عنه خطيرة؛ ما قد يقلب المشهد السياسي برمته. ولكن قبل بلوغ موعد المؤتمر، على القائمين على رأس القيادة المؤقتة للحزب التوصل إلى توافقات داخلية بين عدة مجموعات مكونة للجسم الندائي تحمل طموحات مختلفة إلى حد التناقض (أجيال، ومناطق، وعائلات فكرية وسياسية، ومستفيدين من م الواقع في الدولة... إلخ).

⁵ وفي مقدمة هؤلاء محسن مرزوق ولزهر العكرمي وبوجمعة الرميلي والطيب البكوش (وزير الخارجية السابق) ومحمد صالح بن عيسى، إلخ.

* "وطد": اختصار لحزب الوطنيين الديمقراطيين الذي كان يرأسه المحامي اليساري شكري بلعيد، والذي اغتيل في 6 شباط/فبراير 2013.

⁶ صرّح محسن مرزوق في اجتماع الإعلان عن حزبه الجديد يوم 20 آذار/مارس، إنَّ النداء مات ولم يعد له وجود.

وسيحاول المؤتمر أيضًا التوصل إلى:

- إقناع الجهات الداعمة دوليًّا وإقليميًّا بقدرة الحزب على مواصلة تحمل أعباء الحكم، والتصدي للمخاطر الأمنية والاجتماعية المتريصة بتونس؛
- إقناع حركة النهضة بتوطيد التحالف معه في إدارة شؤون الدولة من جهة، ومواجهة الاستحقاقات الانتخابية المقبلة (وفي مقدمتها الانتخابات البلدية والجهوية) في صفٍ واحد من جهة أخرى؛
- تقديم أجوبة وحلول للمشاكل المستعصية التي تواجه الشعب الذي وعده الحزب في حملاته الانتخابية بالتصدي لها؛
- بناء تصور لسياسة مقنعة في مواجهة الإرهاب المعلوم وتداعيات الاضطرابات الدموية في الإقليم.

لقد حقق التقارب بين الشيختين (السبسي، والغنوشي) إلى حد الآن عدة نجاحات. ولكن يحتاج كلاهما إلى رصّ صفوف حزبيهما في الاتجاه نفسه. وهو ما يُعلّان على مؤتمر الحزبين لتحصيل شرعية سياسية تنظيمية لتجوّههما، بما يكفل لهما – إذا ما تمكّنا من ذلك – المضيّ بعيدًا في تطبيق السياسات التي سيطرحانها للدولة في الفترة المقبلة.

أمّا إذا لم يتوصلا إلى النتائج المرجوة في مؤتمريهما، أحدهما أو كلاهما، فإنّ الواقع يمكن أن يُنذر بانقلاب المشهد رأسًا على عقب، ويمكن أن يرشّح البلاد إلى دخول دوامة من الاضطرابات وتفاقم المشاكل، ما يزيد من تهديد الوحدة الوطنية وسلامة الدولة.

المؤتمر التأسيسي لحزب مشروع تونس: امتحان في القدرة على البقاء

في السنوات الخمس الماضية، أثبت محسن مرزوق قدرةً كبيرةً على المبادرة وذكاءً سياسياً وقاداً، إضافةً إلى نسج شبكة علاقات داخلية وخارجية واسعة، ساعدته على الاستفادة منها انتماوه منذ سنوات الألفين إلى منظمة فريدم هاوس الأميركيّة.

وبعد أن قاد حملة النداء في الانتخابات التشريعية، ووصول الباجي قايد السبسي إلى سدّة قصر قرطاج أواخر سنة 2014، وجد مرزوق نفسه "مضطراً" إلى بعث حزب جديد (مشروع تونس) انشق عن نداء تونس؛ مؤكداً

أن النداء يعيش حالة احتضار، وأن حزبه جاء بديلاً منه. بل إن دعا الندائيين في اجتماع شعبي عُقد يوم 20 آذار / مارس إلى الالتحاق به وتكونن تياراً ثالثاً بين النهضة والجبهة الشعبية. وأعلن مرزوق أن المؤتمر التأسيسي للحزب سينعقد في شهر حزيران / يونيو المقبل، وأنه سيكون جاهزاً لدخول الانتخابات البلدية أواخر السنة الحالية. فهل سيتمكن هذا المؤتمر من فرض حزب مشروع تونس شريكاً يُحسب له حساب في الساحة السياسية المقبلة، بوصف مرزوق كان واحداً من أهم مهندسي برنامج نداء تونس وتوجهاته الفكرية والسياسية، والوعود التي بذلها عند تأسيس النداء هي نفسها التي يبشر بها في حزبه الجديد؟ لا شك في أن أهم محور سيشتعل عليه المؤتمر المقبل لمشروع تونس هو إعادة ثقة الناس بمنسقه العام (مرزوق) ودفع التهمة عنه بأن ما يحركه هو طموحاته الشخصية لا غير.

هناك عدة سيناريوهات يمكن أن يسلكها الحزب الناشئ لتحقيق ما يدعوه؛ أولها البحث عن تحالفات في الساحة تمكّنه من احتلال موقع محترم في المشهد، وفي الوقت نفسه خوض معركة بنائه الداخلي بعيداً - ما أمكن - عن الضغوطات والصراعات المستنزفة. ويبعد أن اختياره لعدد من رموز الصف الأول لنظام بن علي (مثل الوزيرين السابقين الصادق شعبان، وسليم التلاتي، وغيرهما) ل الانضمام إلى المؤسسين، كان بهدف الاستفادة من ماكينة انتخابية جاهزة. لكن ذلك أثار حفيظة العديد من نواب كتلته في البرلمان. فهل يعني ذلك تخليه عن إمكانيات التحالف مع الجبهة الشعبية، وخاصة أنه عَدّ هوية حزبه تياراً ثالثاً يتوسط النهضة والجبهة الشعبية؟ وهل تعد الحملة العنيفة التي يشنّها عليه رموز من اليسار من بين زملائه القدماء، كالأزهر العكرمي والطاهر بن حسين، مقدمة لا تشجع على التعويل على الجبهة في هذه المرحلة؟

لن يترك نداء تونس لمرزوق حرية الحركة في مشهد التحالفات المقبل. وهو ما يترجم تصريح رضا بال حاج رداً على قيام حزب مرزوق، قائلاً: "مخطيء من يعتقد أن بإمكانه تأسيس حزب في وقت قصير، وكل من يغادر النداء لن يجد مكاناً له في المشهد السياسي".⁷

⁷ انظر: "رضا بال حاج: هذا مصير من يخرج عن نداء تونس"، موزاييك أفر، 20 آذار / مارس 2016، في:
<http://goo.gl/qTmHbz>

سيلتقي حزبا النهضة والنداء مجدداً حول الرغبة في تقليص حجم "الطموحات الإشكالية" لمرزوق؛ فحزب النهضة يتهم جماعته (جماعة مرزوق) بالاستئصال وتنفيذ أجندات خارجية معادية للانتقال الديمقراطي، أمّا نداء تونس فيتهمه "بخيانة" الباقي قايد السبسي، وطعن النداء في الظهر.⁸

أمّا السيناريو الآخر الممكن في ظل تخلي عديد الجهات الدولية عنه، وفي صورة فشله في استقطاب رؤوس العائلة الدستورية والتجمعية المتشكلة في أحزاب وتجمعات عديدة، فيتمثل بأن يسعى مرزوق إلى البحث عن وساطات مع نداء تونس للتحالف معه في الانتخابات البلدية المقبلة، مع استبعاد النهضة من التحالف، وخاصة أنّ لديه كتلة نيابية محترمة في البرلمان قد تحول إلى سلاح مؤثر في عملية التفاوض، في حال لم يتمكن النداء من تفكيكها.

عديدة هي السيناريوهات التي يفتح عليها مؤتمر حزب مشروع تونس، في ظل بحث مرزوق عن ترسيخ مقومات وجود حزبه وضمان بقائه في الساحة السياسية؛ فهل سيتمكن من تحقيق هذه الأهداف؟

المؤتمر الـ 23 للاتحاد العام التونسي للشغل: رهانات حاسمة وأفق ملتبس

ينص القانون الأساسي للاتحاد العام التونسي للشغل في فصله العاشر على أنّ أعضاء المكتب التنفيذي لا 13 يُنتخبون من المؤتمر لمدةٍ نيابية بخمس سنوات قابلة للتجديد مرّة واحدة. وبما أنّ مؤتمر المنظمة الـ 22 قد انعقد في شهر كانون الأول / ديسمبر 2011، فإنّ المؤتمر المقبل سيكون بالضرورة في أواخر السنة الحالية، كما صرّح بذلك الأمين العام المساعد نور الدين الطبوبي.⁹

لقد قام الاتحاد في السنوات الخمس الماضية بأخطر أدواره السياسية والاجتماعية منذ الاستقلال، وتدخل بصورة واضحة في إدارة دفة الأوضاع في البلاد في الفترة الانتقالية ما بعد ثورة 2011، ما جلب له اعتراضاً محلياً

⁸انظر: "الخليفي يجب محاسبة المخربين في نداء تونس وعلى رأسهم محسن مرزوق"، النهار نيوز، 27 كانون الأول/ديسمبر 2015، في: <https://goo.gl/IUXIyj>

⁹"الاتحاد العام التونسي للشغل: المؤتمر القادم أواخر 2016"، شمس أفر�م، 10 آذار/مارس 2016، في: <http://goo.gl/Tjy1Ts>

ودولياً واضحاً بدوره، ومنحه (إلى جانب منظمات الرباعي الراعي للحوار الوطني الثالث) جائزة نobel للسلام. وفي إطار إعادة تشكيل المشهد السياسي في المرحلة المقبلة، كيف ستحافظ المنظمة الشغيلة على ذلك الرصيد من التأثير السياسي، في ظل سعي الدولة بعد استقرار مؤسساتها إلى استعادة قوتها ودورها كاملين في إدارة الشأن العام؟ وكيف سيرأوح الاتحاد (من خلال مؤتمرها الم قبل) بين الدفاع عن الطبقة الشغيلة (في إطار التعديل النقابي)، وممارسة دورٍ وطني وسياسي "تضخم"¹⁰ في السنوات الماضية بحكم الم هرات التي عرفتها البلاد؟

سيكون لمناقشات المؤتمر الم قبل ومخرجاته تأثيرٌ كبير في إعادة رسم التوازنات الاجتماعية والسياسية، وتحديد مختلف القوى المؤثرة في رسم سياسات المستقبل. من المعلوم أنَّ الاتحاد ورث من فترة الدكتاتورية وجود عدة تيارات سياسية في صلب هياكله، ونجد على رأسها بعض فصائل اليسار الماركسي والقوميين. ومعلوم أنَّ عدداً من أعضاء المكتب التنفيذي الحالي ينتمي إلى تلك العائلات الفكرية والأيديولوجية، وقد سعى في أكثر من محطة إلى إقحام الاتحاد في معارك سياسية وأيديولوجية. ومن بين الرهانات الحاسمة التي سيتعامل معها المؤتمر الـ 23، عدم إمكانية ترشيح ثلاثة من أعضاء المكتب التنفيذي الحالي أنفسهم طبقاً للشروط التي وضعها الفصل الـ 10 من القانون الأساسي؛ وهم الأمين العام الحالي حسين العباسى ونائباه المولدي الجنوبي وبلقاسم العياري. سيؤدي خروج هؤلاء من قيادة الاتحاد إلى تناقضٍ شديد قد يصل إلى حدٍ صراعٍ غير مضمون النتائج بين تيارات سياسية في الساحة تسعى إلى حسم معاركها من خلال القيادة النقابية. وسيترك ذلك أثراً كبيراً في مستوى قراءة الدور الاجتماعي والسياسي للمنظمة في المرحلة المقبلة. وسيكون للحرك الحاصل اليوم في الجبهة الشعبية، والخلافات الحادة التي بدأت تظهر على السطح بين حزب العمال (وزعيمه حمَّة الهمامي) وحزب الوطنيين الديمقراطيين (ومنسقه العام زياد لخضر)، حضور مباشر في المؤتمر الم قبل للاتحاد. بل إنَّ عملية التسويق الإعلامي لأحد قيادات اتحاد الشغل في عهد بن علي (عبد البركي)¹¹، بعد انتهاء مهمته

¹⁰ تحقيق: بعد إسقاط الترويكا وتعيين جمعة، هل انتهى الدور السياسي للاتحاد العام التونسي للشغل؟، نواة، 11 أيلول/سبتمبر 2014، في: /https://nawaat.org/portail/2014/09/11/التحقيق-بعد-إسقاط-الترويكا-وتعيين-جمعة/

¹¹ تولَّى مهمة نائب رئيس الأمين العام لاتحاد الشغل عبد السلام جراد، وهو من مؤسسي الخط الوطني الديمقراطي (وطد) في الجامعة مع الراحل شكري بلعيد، وكان رئيساً لأول مؤتمر توحيد لحزب الوط德 الموحد، انظر: "عبد البركي لـ'التونسية': 'النهضة' رفضتني وهي أكبر مستفيد من الحكومة الجديدة"، التونسية، 21 شباط/فبراير 2015، في: http://www.attounissia.com.tn/details_article.php?t=37&a=147977

بوصفه مستشاراً لمنظمة العمل العربية في بيروت طيلة أربع سنوات وعودته إلى تونس، قد تأتي في إطار التحركات واللقاءات التي قام بها البريكي مع عدد من الإطارات النقابية لتقديم وضع المنظمة الشغيلة والاستعداد للمؤتمر المقبل. وهو ما دفع ببسمة الخلفاوي، زوجة الحقوقي والقيادي في تحالف الجبهة الشعبية شكري بلعيد الذي جرى اغتياله في شباط/فبراير 2013، للتصريح بأنّ البريكي هو من يجب أن يتولّ رئاسة الوطن وقيادة الجبهة الشعبية. وبإمكان هذا السيناريو أن يُحول الصراع - كما قلنا سابقاً - إلى أروقة المؤتمر المقبل للاتحاد، وستتمثل نتائجه المباشرة بصعود التيار المنادي بضرورة تركيز دور الاتحاد في دعم الحكومة وفي الحفاظ على الوحدة الوطنية (وهو التوجه الحالي لحسين العباسى). أما السيناريو الآخر فقد يدفع البريكي إلى الترشح لعضوية المكتب التنفيذي المقبل (والتعديلات القانونية للاتحاد تمكّنه من ذلك) لضمان توحّد مختلف فصائل اليسار حوله، والحلولة دون تهميشها في المرحلة المقبلة.

يبقى أمام المؤتمر الـ 23 لمنظمة الشغيلة عديد الرهانات، وإن كان الحديث في أروقة العائلة النقابية يرشح لقيادة الاتحاد، كلاً من نور الدين الطبوبي (ويُشاع أنّ حركة النهضة تدعمه)، وبوعلي المباركي (ابن سيدى بوزيد، والمقرّب من العباسى). يبقى كلّ تلك الاحتمالات رهين ما سيُسفر عنه مؤتمراً النهضة والنداء، وما سيكشف عنه غبار المعارك الحالية في صفوف اليسار من جهة والعائلة الدستورية - التجمعية من جهة أخرى. ولكن الأكيد أيضاً أن النتائج التي سيُسفر عنها مؤتمر المنظمة الشغيلة ستكون حاضرة في إعادة تشكّل المشهد السياسي المقبل في تونس.

انظر أيضاً: حوارات في الصحف اليومية مثل جريدة الصباح والتونسية والمغرب وغيرها، أو لقاءات تلفزيونية في قنائي "سمة" و"الحوار التونسي" ... وغيرها.

خاتمة

تمثّل المؤتمرات الأربعـة التي سـتعـرـفـها تـونـسـ فـيـ الأـشـهـرـ المـقـبـلـةـ مـدـخـلـاـ لـإـعـادـةـ تـشـكـيلـ المشـهـدـ السـيـاسـيـ:ـ أحـزـابـ وـتـحـالـفـاتـ وـمـواـزـينـ قـوـىـ فـيـ الـبرـلـمانـ وـخـارـجـهـ،ـ وـحـكـومـةـ وـمـعـارـضـةـ وـحـرـاكـاـ اـجـتمـاعـيـاـ.ـ وـلـكـنـ،ـ سـتـسـاـهـمـ عـنـاصـرـ أـخـرىـ فـيـ ذـلـكـ التـشـكـلـ الجـدـيدـ بـمـسـتـوـيـاتـ مـتـفـاـوـتـةـ؛ـ مـنـهـاـ الـوـضـعـ فـيـ الإـقـلـيمـ (ـالـوـضـعـ الـلـيـبـيـ خـصـوـصـاـ)،ـ وـماـ سـيـسـفـرـ عـنـهـ الجـدـلـ الدـائـرـ دـاخـلـ تـحـالـفـ الـجـبـهـةـ الـشـعـبـيـةـ،ـ وـالـمـوـقـعـ الـذـيـ سـيـحـتـلـهـ حـرـاكـ شـعـبـ الإـرـادـةـ (ـحـزـبـ أـسـسـهـ الرـئـيـسـ السـابـقـ المـنـصـفـ الـمـرـزوـقـيـ)،ـ فـيـ ضـوءـ ماـ يـسـمـيـهـ عـالـمـ الـاجـتمـاعـ آـصـفـ بـاـيـاتـ بـ"ـالـزـحـفـ مـنـ أـسـفـ؟ـ،ـ أـيـ قـيـامـ قـوـىـ الرـفـضـ وـالـمـطـالـبـ الـاجـتمـاعـيـةـ غـيرـ الـمـهـيـكـلـةـ وـالـمـقـبـلـةـ بـتـحـركـاتـ تـقـائـيـةـ غـيرـ مـرـئـيـةـ.